

توثيق رواية الشعر عند الشريف المرتضى

المدرس الدكتور

ثائر عبد الزهرة لازم

جامعة البصرة – كلية الآداب

ملخص:

أبان البحث عن كيفية مجيء الرواية لدى الشريف المرتضى فوجد أنها تأتي على ثلاثة أنواع : رواية مجردة، ورواية مع الترجيح، ورواية مع الترجيح والتعليل. أما في باب توثيق الشعر فقد أستعمل الشريف المرتضى مجموعة من المقاييس أختبر بها مروياته وقد أشتقها من النصوص ذاتها، تجسدت في علوم العربية من نحو، وعروض، وبلاغة.....الخ فوضع بهذه المقاييس لبنة صلبة في بناء منهج توثيقي لتقويم النصوص الشعرية تقويماً صحيحاً، بحثاً عن أصالتها وصحتها .

El-Sharif EL-Murtaza 's documentation of poetry narration

Doctor of Letters

Thaer Abdezahra Lazem

University of Basra –College of Arts

Abstract :

The research discovered the method of the poetry narration carried out by El-Sharif EL-Murtaza .It found three sorts :absolute narration ,a narration with preference and a narration with preference and explanation .

El-Sharif EL-Murtaza had used, in documentation of poetry ,a set of standards by which he examined his narrations .He derived these standards from the texts itself .These texts embodied in Arabic Sciences like syntax ,poetics and rhetoricetc .Thus he ,with these standards ,established a solid documentary procedure to evaluate poetic texts accurately looking for its originality and accuracy.

مدخل:

على الرغم من دراسة بعض الباحثين (١) لجهود الشريف المرتضى في الادب، والنقد والتأويل والكلام، فهو ما زال مجموعة ملكات مترافقة بأنسجام يصعب النظر اليها من بعيد اذ تحتاج الى تأملات عده لاستكشاف جوانب كثيرة من الابداع فيها، الامر الذي كون حافزا لدى الباحث ان يدلي بدلوه في حياض هذه الشخصية الفذة.

وهذه الدراسة وان كانت شديدة التواضع فلعلها تكون اضافة فكرية في مضمار البحث العلمي، ذلك من خلال تسليط الضوء على جهد الشريف المرتضى في توثيق رواية الشعر العربي وهذا ما سنبحثه في كتابه الكبير النفيس الموسوم بـ(غرر الفوائد ودرر القلائد) والمشهور بـ(امالي المرتضى) الذي يقع في مجلدين وهو كتاب ذو قيمة فنية وادبية بما يكتنزه من الشعر العربي القديم الذي حفظت لنا جزءا منه ذاكرة الشريف المرتضى اذ راحت تسترسل بإملائه في اثناء موضوعاته المتنوعة والمختلفة في الان معاً، والشريف المرتضى عالم موسوعي عرف بغزارة علمه في علم الكلام، والاصول والفقه والتفسير والنحو واللغة وكان راسخ القدم في الادب ونقده اذ كان شاعرا معروفا وكاتبا بليغا واستاذا قديرا اذ من النظر في بطون الكتب وحواشيها فالتهمت ذاكرته ما وقع بصره عليه ووعى ذلك وتمثله بأناة وصبر، وقد اعانته على ذلك مكتبته الخاصة التي ضمت ثمانين الفا من المجلدات (٢) .

ويظهر لي من جراء قراءتي في امالي المرتضى ان الرجل كان قوي الحافظة، كثير الرواية، سريع الاستحضار للشعر والشعراء واخبارهم، فقد درس الادب والرواية على يد ابرز علماء عصره الا وهو ابو عبد الله المرزباني (ت ٣٨٤هـ) وتلقى عليه وروى عنه اغلب ما جاء في مروياته من الشعر واللغة والاخبار (٣) مع قيامه برواية ما اثر عن الاصمعي وابن السكيت وابي العباس ثعلب وغيرهم، يضاف الى ذلك انه لا يكاد يترك شاعرا ذا اثر قيم من عهد الجاهلية الى نهاية القرن الذي عاش فيه الا ذكره. هذا وغيره جميعا بلا شك ينم عن نباهة ومقدرة على الحفظ السريع مع قوة ذاكره حاضرة وسرعة بديهية لها القدرة على استرجاع المادة المخزونة في الذاكرة وانشادها حين يتطلب الموقف ذلك، وهي لعمري من موجبات الرواية الحقة ذلك ان الرواية ليست ترديد للشعر، وانشاد للقوائد دونما تعديل او تهذيب او تشذيب في بعض الفاظها، بل هي عملية نقدية تحتاج الى مهارة وخبرة في اللغة وفن الشعر.

وهي بهذا المعنى تنأى بنفسها عن العصبية التي كانت سببا في نشوء الوضع والانتحال وما تركه من اثر سلبي في مسيرة رواية الشعر العربي.

ومن هنا لا بد للمتصدي لمسألة الرواية ان يكون موضوعيا في تطبيق المبادئ والاسس التي تقوم عليها عملية توثيق الشعر بغية الافادة منه بوصفه مادة النقد، ومن هذا المنطلق راح الشريف المرتضى يحث الخطى باتجاه خلق الادوات الكفيلة في توجيه هذا الموضوع الوجه السليمة وهو ما نحاول اثباته والتدليل عليه في اثناء البحث ان شاء الله تعالى.

تعد الرواية ذات اهمية قصوى في عملية نقل التراث الادبي واللغوي من حقبة الى حقبة فلولاها ما حفلنا بدواوين الشعر ولا بكتب الادب واللغة وغيرها من المصادر التي ازدحمت بها مكتبتنا العربية القديمة، غير ان هذه المهمة لم تكن باليسيرة على اصحابها فقد تجشموا عناء النقل منذ البدايات الاولى لرواية الشعر حيث خضعت هذه الرواية بصورة عامة لجملة من الظروف جعلته يتسم بعدم الدقة في النقل.

ذكر ابن سلام في طبقاته: (فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الامصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون او كتاب مكتوب والفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفضوا اقل من ذلك وذهب عليهم منه كثير) (٤) ومنهم من سعى الى وضع الشعر وتحريفه لاسباب ذكرها ابن سلام بقوله: (فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها ومأثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائهم وكان قوم قلت وقائهم واشعارهم فأرادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار فقالوا على السنة شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الاشعار التي قيلت) (٥)

وقد اتخذت الرواية في العصر الجاهلي اشكالا مختلفة تقوم على رواية شعر شاعر معين او قبيلة او شعراء قبائل متعددة أي انها لم تكن تتبع منهجا واضحا حتى مجيء القرن الثاني حيث وجدت لها بعض القواعد وسادها شيء من النظام، فقد كانت تعتمد على (الحفظ والنقل والانشاد كالرواية المجردة في دورها الاول واضيف اليها الضبط والاتقان والتحقيق والتمحيص والشرح والتغيير وشيء من الاسناد) (٦) وقد اضطلع بهذا العمل اولئك العلماء المشهورون امثال ابي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وحماد الراوية (ت ١٥٥هـ) وخلف الاحمر (ت ١٨٠هـ) والمفضل الضبي (ت ١٦٨هـ) وخلف الاحمر (ت ١٨٠هـ) والاصمعي (ت ٢١٦هـ) وغيرهم (٧)

ان اثر الرواة في القصيدة العربية مهم في اشاعة هذه القصيدة في الاوساط الادبية المختلفة نظرا لانها تتمتع بلغة نقية واصالة تعبير وسلامة تراكيب فالوظيفة النقدية اذن للرواة هي: الاهتمام بالقصيدة العربية بوصفها المثل الاعلى للغة العربية السليمة.

ومع ذلك فقد كان الرواة في بعض الاحيان يصححون القوائد المختلفة التي تحتاج الى تبيان وجهة نظر او تبديل كلمة مكان اخرى وعلى هذا الاساس رفض ابو زيد الانصاري رواية ابي عمرو بن العلاء لبيت امرئ القيس:

تأوبني دائي القديم فغلسا احاذر ان يرتد دائي فأنكسا اذ عد ابو زيد غلسا مصحفة وصوابها غلسا(بالعين المهملة) لان المتأوب في نظره لا يكون مغلسا في حال واحد، فغلسا انما هو اتى في اخر الليل، وتأوب جاء في اخر النهار اما غلسا فمعناه اشتد وبرح(٨) .

ويبدو ان اهل العلم بالشعر كانوا على يقظة شديدة من وقوع الخطأ في رواية الشعر على حد سواء بين مفتعلي ذلك وغيرهم.

قال ابن سلام:(وليس يشكل على اهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون)(٩) ومن هؤلاء الرواة اللذين اشار اليهم ابن سلام حماد الرواية فقد كان مقتدرا على صنعة الشعر وفهم اساليب العرب ولغتهم وعلى معرفة بمذاهب الشعراء واساليبهم، ولذلك فإن ابن سلام يشكو منه شكوى مرة ويقول:(وكان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به وكان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد في الاشعار)(١٠)

وقد تابع الشريف المرتضى ما ذهب اليه ابن سلام من قبل اذ راح يشكو هو الاخر منه متهما اياه بخروجه عن الدين، وشربه للخمر وارتكابه للفجور(١١)

ويرى انه كان(مشهورا بالكذب في الرواية وعمل الشعر وضافته الى الشعراء لانه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته فأختلط لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه، وان لم يكن دالا على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية)(١٢)

اما الاصمعي فقد قال عنه اسحاق الموصلي(وما رأيت قط مثل الاصمعي بالعلم بالشعر)(١٣) وقد اشيد بعلمه ودرأيته وتغلغه بالعلوم وهذا ما نلمسه في ما نقله الشريف المرتضى عنه من اخبار(١٤) يفهم منها انه من الرواة الثقة فكثيرا ما ينقل عنه دون ان يعترض على أي من مروياته وهذا العمل المسكوت عنه، يمثل توثيقا للرواة وسيلاحظ القارئ الكريم عددا من الروايات التي يطلقها الشريف المرتضى من على السنة رواتها مثبتا اياها من غير شك بها مما يعني ان رواتها من الموثوقين لديه.

لقد توزعت الرواية عند الشريف المرتضى الى رواية مجردة، ورواية مع الترجيح، ورواية مع الترجيح والتعليل، ونجد ان هذه الروايات بأنواعها تأتي مجتمعة تارة ومتفرقة تارة اخرى ذلك على وفق ما يتطلبه السياق او الموضوع، وستوضح هذه المسألة حينما ندرج في موضوع الدراسة. على ان الرواية لم تأت لديه اعتبارا بل جاءت على وفق منهجية واضحة هدفها التصدي للرواية الفاسدة ومن ثمة تقويمها، يجري ذلك منه بخطى واثقة على الرغم من كثرة مروياته فهو لا يرتضي نقد الشعر الا بعد توثيق روايته، فنجد موضوعيا الى ابعد حدود الموضوعية فهو تارة يذكر الرواية واسم الراوية وتارة يأتي بالسند يرفعه الى الراوية الاول ومرة اخرى يذكر الاختلاف حول الروايات كاملا وهو يقدم بهذا صورة واضحة عما كان يجري حول النص من خلاف ثم يدلي برأيه في كثير من الاحيان.

اذ يورد الشريف المرتضى ابياتا من الشعر كثيرة، وردت بعض كلماتها بروايات مختلفة ويثبت هذا الاختلاف وينسبه في بعض الاحيان الى راوية بعينه ويترك المسألة بعد هذا بلا تعليق او اشارة من الممكن ان يفهم منها انه يفضل رواية على اخرى ومن ذلك ما نقله عن (عبد الصمد بن المعذل بن غيلان عن ابيه عن جده غيلان قال: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فأنشدنا بالكناسة وهو على راحته قصيدته الحائية التي يقول فيها) (من الطويل)

اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فقال له عبد الله بن شبرمة: قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال: (من الطويل)

اذا غير النأي المحبين لم اجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال: فأخبرت ابي بما كان من قول ذي الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه، فقال: اخطأ ذو الرمة في رجوعه عن قوله الاول، وخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه، هذا كقوله عز وجل (اذا اخرج يده لم يكذبها) (١٥) أي لم يرها (١٦)

كما روي: (ان الاصمعي دخل ذات يوم على سعيد بن مسلم وبن الاعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال: لبعضهم: انشد ابا سعيد فأنشد الغلام ابياتا لرجل من بني كلاب رواه اياها ابن الاعرابي) منها (من الطويل) فقلت لها:

ليس الشحوب على الفتى بعار، ولا خير الرجال سمينها

عليك براعي ثلة مسلحبة يروح عليها محضها وحقيقتها

سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة وانعم اباكار الهموم وعونها

ورفع (ليلة) فقال: الاصمعي: من رواك هذا؟ فقال: مؤدبي فأحضره فأستنشده فأنشدته، ورفع (ليلة) فأخذ ذلك عليه، وفسر البيت فقال: انما اراد: لم تؤرقه ليلة ابكار الهموم وعونها، وانهم، أي زاد على هذه الصفة وقوله: (سمين الضواحي) أي ظهر منه وبدا سمين، ثم قال الاصمعي لابن مسلم: من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعا لتأديب ولد الملوك (١٧)

ويلاحظ في المثالين السابقين انهما يفتقران الى رأي الشريف المرتضى في تفضيل رواية على اخرى بل هو يثبت الخلاف فقط من غير ميل الى احد طرفيه وكأن بموقفه هذا يخير القارئ في اخذ ما يشاء من الروايات دون الزامه برواية معينة او دون تخطئة الراوية الذي نقل احد الروايتين وفي هذا اثبات لكل المرويات المختلف عليها من جهة وتوثيق للرواية من جهة اخرى يفهمان ضمنا ان عدم التعليق من الممكن ان يعد علامة الرضا والقبول ولعل الاختلاف في نسبة الشعر ظاهرة طبيعية، وذلك للاعتماد في نقل التراث العربي القديم على الرواية. وتعتمد الرواية بطبيعة الحال على الحفظ. وهذا يعني ان الذاكرة ادت دورا اساسيا في نقل التراث. ولا يخفى ان الذاكرة مهما اوتى صاحبها من القوة فهي معرضة للنسيان والخلط بادخال حدث في حدث اخر مشابه، او احلال كلمة محل اخرى او ما شابه، مما قد يترتب عليه نسبة الشعر الى غير قائله فضلا عن عوامل جزئية اكان لها دورها في التأثير على نسبة القصائد والابيات (١٨)

وعلى هذا الاساس والى جانب تثبيت خلاف الواقع في رواية الشعر من لدن الشريف المرتضى فإنه كذلك يقوم بتثبيت اختلاف رواية نسبة الشعر الى قائله نحو ما نقله عن ابي عبد الله المرزباني (قال:

حدثنا محمد بن ابراهيم قال ابو دهب قال: يقال انها للمجنون) (من الطويل)

أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلة اني اذا لصبور

هبوني امراً منكم ضل بغيره له ذمة ان الذمام كبير (١٩)

وتعد الرواية مع الترجيح مرحلة متقدمة في مبحث الرواية لدى الشريف المرتضى فهي تقوم بأصدار حكم نقدي واع يفصح عن ذوق سليم ودقة متناهية في معرفة اساليب الشعراء وطرائقهم الشعرية ولعل ما يؤكد ذلك التوجيه الذي قام به الشريف المرتضى لرواية عبد الملك بن مروان وهو ينسب بيتين من الشعر الى ليلي الاخيلية وهما (من البسيط)

مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه لقميص لسير الليل محتقر

لا يأمن الناس ممساه ومصباحه في كل فج، وان لم يغز ينتظر

اذ يقول: (والصحيح في الرواية ان البيتين الذي رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية لا عسى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة للدعاء اخت المنتشر وقيل لليلى اخته ولعل الشبه الواقع في نسبتها الى ليلى الاخيلية من هاهنا والصحيح ما ذكرناه (٢٠) ويلاحظ من خلال هذا الترجيح ان الشريف المرتضى لم يكتف بنسبة الشعر الى قائله بل راح يعلل ترجيحه مبينا التشابه الحاصل في اسماء الشعراء مما ادى الى الخطأ في الرواية.

لقد اخذت الرواية مساحة واسعة من اهتمام الشريف المرتضى ولعل اكثره منها يلفت النظر اليه ويجعلنا نتساءل عن سبب ذلك؟ فنجيب بالقول: ان الشعر لديه كان بمثابة الحجر الاساس الذي تقوم عليه العملية النقدية سواء اكان ذلك في تأويل النص القراني او الشعري على حد سواء (٢١)

ومن هنا لا يمكن لنا ان يأتي على ذكر الشعر من غير روايته، اذ ان المسافة الزمانية التي تفصل بين الشعر والشعراء من جهة، والرواية الناقد من جهة اخرى لا شك في انها تحتاج الى مدقق ثبت ذي خبرة كافية لا في فن الشعر فقط بل في تاريخه وما طرأ عليه من تصحيف او تحريف عبر تلك الحقب المتفاوتة ومن هذا المنطلق.

طفق الشريف المرتضى يتخذ لنفسه في سبيل توثيق رواية الشعر جملة من المقاييس المنبثقة من النصوص نفسها، بمعنى انه كان يستقرئ النصوص ويستخرج منها ادلة تثبت خللها او فساد روايتها وما تضمنته تلك النصوص من ادلة على صياغتها الحقيقية وقد استمد هذه المقاييس من علوم اللغة، كالنحو والعروض والبلاغة وانواع الاساليب التي دأب الشعراء على استعمالها في ابداعهم، وسنتحدث فيما يأتي عن هذه المقاييس مع تقديم امثلة ونماذج عن ذلك.

عمد الشريف المرتضى الى استخدام مقياس علم النحو لغرض فحص النصوص واستيثاقها فهو مقياس قواعده قابلة للجدل والتأويل، ولعل ما يؤكد ذلك ما رواه من رواية مرفوعة الى الاصمعي ذكر فيها ان اسحاق بن سويد قال: (انشدني ذو الرمة (من الطويل)

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فقلت له (فعولين) خبر الكون فقال لي: لو سبحت ربحت انما قلت: (وعينان فعولان) وصفتهما بذلك (٢٢) فقال: الشريف المرتضى وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل ثم يبين ان هذا الخبر روي على غير وجه مرفوعا الى الاصمعي ايضا يقول الاصمعي: (لما انشد ذو الرمة قوله (من الطويل)

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولين بالالباب ما تفعل الخمر

وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد: ويحك قلت عظيما فقل(فعولان بالالباب) فقال له ذو الرمة ما ابالي قلت هذا ام سبحت، فلما علم بما ذهب اليه عمرو قال سبحان الله لو عنيت ما ظننت كنت جاهلا(٢٣)

ويبدو ان الرواية الثانية هي التي قيلت اولا ثم الاخرى ولا يستبعد ذلك ولا سيما ان المعترض مختلف في الروايتين.

ويرجح الشريف المرتضى رواية على اخرى كما فعل في بيت عمر بن ابي ربيعة.

ثم قالوا تحبها؟ قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

اذ روي البيت بالاستفهام(هل تحبها؟) فرجح الشريف المرتضى الرواية الاولى: لانها هي المشهورة وذهب الى ان الرواية الاخرى مفتعلة للفرار من اللحن الحاصل في الرواية الاولى بعد ان عرض توجيهات متعددة لهذا الخروج عن قواعد العربية، فبهرا منصوب من دون ناصب، ومن هذه التوجيهات ان يكون(بهرا) مفعولا مطلقا لفعل محذوف تقديره(بهرني) أي نعم احبها حبا بهرني بهرا او ان يكون مصدرا لدعاء كقولهم عقرا وتعسا اذ جهلوا من حبه لها ما لا يجهل مثله بدليل قول الشاعر(٢٤)

لحا الله قومي اذ يبيعون مهجتي بجارية بهرا لهم بعدها بهرا

او ان يكون بمعنى ظاهرا أي حبا ظاهرا وهذا كقولهم: قمر باهر أي ظاهر وعلى هذا لحن في البيت ولا داعي لهذه الرواية المستعملة(٢٥)

كذلك نقل الشريف المرتضى قول ثعلب حول ابيات للحسين بن مطير منها:(من الطويل)

فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهدى تولى بشوق يعيدها

بمرتجة الاردا ف هيف خصورها عذاب ثناياها عجاف قيودها

يعني انها عجاف اللثات واصول الاسنان، وهي قيودها. قال ابو العباس ثعلب: (عجاف) بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله ان يكون نصبا، لانه حال من الثنايا(٢٦) والى جانب اعتماد الشريف المرتضى على مقياس قواعد النحو في استيثاق الشعر فأئنا نجدته يتخذ من مقياس الاسلوب فيصلا في نسبة الشعر الى قائله.

الامر الذي لا يمكن ان يعتمد عليه سوى النقاد الذين تمرسوا بأساليب الشعر وطرقه ومنهم الشريف المرتضى اذ راح يشكك في نسبة الابيات التي رواها عن المرزباني للجاحظ وهي (من الرجز)

زرت فتاة من بني هلال فاستعجلت الي بالسؤال
مالي اراك قانيء السبال كأنما كرعت في جريال
ما يبتغي مثلك من امثالي تنح قدامي ومن حيالي

يقول: (قوله: كأنما كرعت في جريال) مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه(٢٧) ويلاحظ هنا ادراك الشريف المرتضى بحسه النقدي ان الطريقة التعبيرية في هذا البيت غريبة عن اسلوب الجاحظ، وعليه شك الشريف المرتضى في نسبة القصائد لاصحابها وبنى شكه على ما فيها من مغايرة لطرائقهم التعبيرية واساليبهم الفنية وهي طريقة نقدية موضوعية في توثيق النصوص الادبية تدل على وعي في ربط النص بصاحبه على اساس من النمط العام في تعبيره. لقد وازن الشريف المرتضى بين الروايات المختلفة ورجح بينها في اطار حالات اللفظ والمعنى، كأن يكون في الرواية المختارة معنى ابلغ واصوب مثلما في قول الشاعر البحتري(من الطويل)

اقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن تخير اراء الحجى وانتخابها

سيرديك او يثويك انك محلس الى سفة يبكيك بعد ما بها(٢٨)

يقول الشريف المرتضى(وجدت الامدي يروي هذا البيت (انك محبس) بالباء، وتفسير ذلك ان المعنى انك موقوف الى ان تصير الى هذا، من قولك: احبست فرسا في سبيل الله، واحبست دارا، أي وقفتها.والرواية المشهورة: (انك محلس) باللام، والمعنى انك متهيء للرحيل ومتخذ حلسا. والحلس: هو الكساء الذي يوضع تحت الرجل، وهذا اشبه بالمعنى الذي قصده البحتري، واولى بأن يختار، مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه(٢٩)

فتوثيق الشريف المرتضى لرواية هذا البيت كان كما نلاحظ بالاعتماد على ما يؤديه كل لفظ من معنى، واختيار افضل المعاني تعبيراً عما قصده الشاعر من مبالغة.

ويذهب الشريف المرتضى الى ذكر اختلاف الروايات الذي قد يحصل بسبب تقارب صور الحروف او ما يسمى بالتصحيف، والتصحيف: (ان يأخذ الرجل اللفظ في قراءته في صحيفة ولم يكن يسمعه من الرجال فغيره عن الصواب)(٣٠) ويعد من معاييب الفنون الادبية، قال الفلقشندي: (لم يكن لطيف الذوق ولا حسن الاختيار جاء ما لفته من كلام غيره رثا ركيكا...فأن صحبه التصحيف والتحريف فتلك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى)(٣١)

والتصحيح والتحريف هذا في كتب واقوال اللغويين والنحويين على حد سواء يقول احمد عبد الغفور العطار: (ومن هنا يريد الجوهري) التصحيح والتحريف لبعض الشعر وهو كثيرا ما يخطي في رواية الشعر ويغير شطره ويغلط في نسبة الشعر الى صاحبه (٣٢) وقد تكون اسباب التحريف غير متعمد، ومنها ما يعتري الذاكر من ضعف، فالذاكرة (مهما بلغت من الدقة ومهما ساعد الوزن الشعري على صحة الرواية لا بد ان تزل فتجعل لفظا مكان اخر، او تنسى من القصيدة بيتا او ابيات فالذاكرة قدره محددة... ولا نستطيع ان نتصور ان الرواة في تلك العصور كانوا جميعا ذوي مقدرة واحدة في رواية الشعر القديم وتذكره) (٣٣) ومن امثلة ذلك ما جاء في تعليقه على بيت ابي تمام (من الكامل)

راحت غواني الحي عنك غوانيا يلبسن نأيا تارة وصدودا
من كل سابعة الشباب اذا بدت تركت عميد القريتين عميدا
اربين بالمرد الغطارف بدننا غيدا الفنهم لدانا غيدا
اخلى الرجال من النساء موقعا من كان اشبههم بهن خدودا

يقول الشريف المرتضى (وقوله: أربين بالمرد) من أرب بالشيء اذا لزمه، واقام عليه، يقال: أرب وألب بالمكان اذا لزمه: يريد انهن الزمن هوى المراد واقمن عليهم. ورواه قوم (أربين بالمرد) من الربا الذي معناه الزيادة، يقال: قد أربى الرجل اذا ازداد، فيقول: أربين بالمرد، أي زدن علينا بهم، وجعلن للمررد زيادة اخترنها علينا (٣٤)

يلق الشرف المرتضى كذلك على قول: احدهم (من الخفيف)

يكتبين الينجوج في كبد المشتى وبله احلامهن وسام

ف(قوله: يكتبين) فأخوذ من لفظ الكباء وهو العود اراد يتبخرن به والينجوج هو العود... فأما كبد المشتى فهو ضيقته وشدته وقد روي (كبة المشتى) والمعنى متقارب لان الكبة هي الصدمة والحملة مأخوذ من كبة الخيل واما الوسام فهن الحسان من الوسامة وهي الحسن (٣٥) على ان علم العروض احد المقاييس المهمة التي اعتمد عليها النقاد في تقديم لرواية الشعر من امثلة ذلك النقد الذي يوجه فيه الشريف المرتضى رواية البيتين من الشعر للبيد بن ربيعة.

نحن بنو ام البنين الاربعة نحن خيار عامر بن صعصعه

فقد قال: اربعة لان الشعر لم يمكنه من ذلك وانما هم خمسة (٣٦) مع ان غيره يرى ان لبيد لم يقل اربعة ليس لضرورة الشعر وإنما قال ذلك لان اباه كان قد مات وبقي اعمامه وهم اربعة (٣٧)

وفي البيتين اللذين رواهما الشريف المرتضى عن المبرد لابي حية النمري نجده وبعد ان يضيف رواية نسبة الشعر الى شاعر اخر يقوم بتعريف الاستعانة فقد نقل ان المبرد قال: (مما يفضل لتخلصه من التكلف، وبعده من الاستعانة قول ابي حية: (من الطويل)

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالفضال قديم

قال المبرد: رمتني واصابتني بمحاسنها، ولو كنت شابا لرميت كما رميت، وفتنت كما فتنت، ولكن عهدي قد تطاول بالشباب، وهذا كلام واضح)

ثم قال: الشريف المرتضى معلقا(وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد، واما الاستعانة فهي ان يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصح نظما او وزنا)(٣٨) وخلاصة القول في توثيق رواية الشعر عند الشريف المرتضى انها كانت تروى من معين ثقافة موسوعية عمادها معرفة اللغة وغريبها، والايام واحداثها، والعادات وتليدها، والامثال والحديث، وآي القران.. وثقافة كهذه تمثل كما هائلا يحويه صدر رواية قدمه في العلم راسخة.

الخاتمة:

لقد انبأ الشريف المرتضى عن مقدرة في مسألة توثيق الشعر، على الرغم من كثرة المرويات سواء اكان ورودها مجردة، او مرجحة مع التعليل فحينما تحتاج الرواية الى مناقشة لتصحيح نسبتها ومعالجة الخلل فيها تجده لا يتوانى في مسك دفة التوثيق باعتماده احد المقاييس العلمية المنبثقة من النصوص ذاتها بما يضمن المحافظة على مكانة القصيدة العربية وسلامة ابياتها من التصحيف والتحريف وازاء ذلك امتاز بالدقة والموضوعية والتروي وكذلك امتاز بطريقته الخاصة في تحقيق بعض النصوص افاد بها كثير من محققي الدواوين الشعرية بالرجوع اليه في مقابلة النصوص بروايته الموثقة وهذا كله نتيجة اطلاعه الواسع على الشعر العربي حتى عصره واهتمامه بدواوين الشعراء وكتب الاختيارات ومجاميع اشعار القبائل اذ يوجه الروايات حسبما قرأه في هذه المدونات ويظهر الاختلاف في الرواية وهو اذ يفعل ذلك يدل على ذوقه العربي السليم في تفضيل رواية على اخرى واعتداده بشخصيته الادبية في التعامل مع الرواة ورواياتهم لا يمنعه من ذلك اسم الرواية وشهرته ما دام قد جانب الصواب وفي هذا اثره للنقد عموما ودعم لمسيرة الرواية التي تحتاج الى مدقق ثبت كالشريف المرتضى.

الهوامش

- ١- ادب المرتضى من سيرته واثاره، د. عبد الرزاق محيي الدين، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧، امالي المرتضى بحث في المنهج والنقد والتأويل، د. ثائر عبد الزهره لازم البصير، دار الينابيع ط١، ٢٠٠٩م، الاثر الثقافي في امالي المرتضى، د. ثائر عبد الزهره، مجلة آداب البصرة، العدد ٥٦، ٢٠١١م.
- ٢- ينظر ديوان الشريف المرتضى، تحقيق رشيد الصفار، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٨، ١/ ٨، ٤٠ رسائل الشريف المرتضى (المجموعة الاولى) للشريف المرتضى، تحقيق احمد الحسيني، الطبعة الاولى، مطبعة الآداب، النجف، التراث في ضوء العقل، د. محمد عمارة، الطبعة الاولى، مطبعة دار الوحدة، بيروت ١٩٨٠م.
- ٣- ينظر امالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مكتبة ذو القربي، قم، ١٣٧٣هـ، مقدمة المحقق ٨.
- ٤- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت: ٢٥/١)
- ٥- نفسه: ١/ ٤٦
- ٦- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الاسد، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦، ١٩٠.
- ٧- نفسه ١٩٢ وما بعدها.
- ٨- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لابني احمد العسكري، تحقيق عبد العزيز احمد، القاهرة مطعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الاولى، ١٩٣٦، ١٠٩-١١٠ وينظر البيت في ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت، ١٠٦.
- ٩- طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٦.
- ١٠- نفسه ٤٨-٤٩.
- ١١- ينظر امالي المرتضى ١/ ١٤٨
- ١٢- نفسه ١/ ١٤٩
- ١٣- نفسه ١/ ٤٧٨.
- ١٤- نفسه ١/ ٣٤٧، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٢، ١٠.

- ١٥- النور من الآية ٤٠
- ١٦- امالي المرتضى /١ /٣٢٥.
- ١٧- نفسه /١ /٤٧٩، وينظر مثل هذه الروايات /١ /٣٢١، ٢٥٣.
- ١٨- ينظر: النقد عند اللغويين في القرن الثاني، سنية احمد محمد، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٧م، ٨٣-٨٤، وينظر رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية القرن السابع، مصطفى حسين دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٧٨م، ٨٢.
- ١٩- امالي المرتضى /١ /١٣٦، والبيتان في ديوان ابي دهبيل الجمحي رواية ابي عمرو الشيباني، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النجف الاشرف، الطبعة الاولى، ١٩٧٢م، ٧٧، وتتنظر مثل هذه الرواية /١ /٤٢٥.
- ٢٠- نفسه ١٨/٢، ٢٣، والابيات في ديوان ليلى الاخيلية عني بجمعه وتحقيقه، خليل ابراهيم العطية، وجيل العطية، وزارة الثقافة والانشاد، دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م، ١٣٤ وكلمة(مختصر) في الديوان بدلا من (مختقر) الواردة في الامالي.
- ٢١- ينظر امالي المرتضى بحث في المنهج والنقد والتأويل، د. ثائر عبد الزهره لازم البصير، ٢٨٥ وما بعدها.
- ٢٢- امالي المرتضى /١ /٤٧، وتتنظر الابيات في ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة شرح الامام ابي نصر احمد بن الباهلي صاحب الاصمعي رواية الامام ابي العباس ثعلب، حققه وقدم له، د. عبد القدوس ابو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٢، عني بتحقيقه وتنقيحه كارليل هنري هيس مكارتنى، عالم الكتب، بيروت /١ /٥٨٨.
- ٢٣- نفسه /١ /٤٨.
- ٢٤- نفسه /١ /٣٣٦، ٣٣٧ والبيت في ديوان عمر بن ربيعة تحقيق وشرح ابراهيم الاعرابي، مكتبة صادر بيروت(د.ت)٦٤، رواية الديوان، عدد النجم بدلا من عدد القطر.
- ٢٥- نفسه /١ /٣٣٦.
- ٢٦- المصدر السابق /١ /٤١٣، ينظر شعر الحسين بن مطير الاسدي، جمع وتحقيق محسن غياض، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧١م، ٤٤.
- ٢٧- المصدر السابق /١ /٢٠٤.

- ٢٨- ديوان البحترى حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م، ١/ ٢٣٢، فيه (مجلس) بدل (مجلس).
- ٢٩- امالي المرتضى ١٩٨ / ٢ .
- ٣٠- ينظر مغني اللبيب عن كتب الاعراب، ابن هشام الانصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، الطبعة الاولى ١٣٧٨هـ، ١/ ٣٧٧ .
- ٣١- المزهري في علوم اللغة والادب، جلال الدين السيوطي، تحقيق، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٨، ٢/ ٣٠٢ .
- ٣٢- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، احمد بن علي الفزاري القلقشندي، تحقيق، عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م، ٢/ ٣١٦ .
- ٣٣- موسيقى الشعر، ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٢م، ٣١٥-٣١٦ .
- ٣٤- امالي المرتضى ١/ ٥٧٣، وتتنظر الابيات في شرح الصولي لديوان ابي تمام، دراسة وتحقيق خلف رشيد نعمان، وزارة الاعلام، العراق، الطبعة الاولى، ٤٠٣-٤٠٤ .
- ٣٥- نفسه ١/ ٦٧ .
- ٣٦- نفسه ١/ ١٩٩، والبيت في شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له د. احسان عباس، التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢، ٣٤١ وقد ورد في الامالي بني وشرح ديوان لبيد بنو.
- ٣٧- ينظر: خزنة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر عمر البغدادي (١٠٣٠هـ-١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مطبعة المدني، مصر، ١٩٨٨م، ٩/ ٥٥٥ .
- ٣٨- امالي المرتضى ١/ ٤٢٥ .

المصادر والمراجع

- الاثر الثقافي في امالي المرتضى د. ثائر عبد الزهره لازم، مجلة اداب البصرة، العدد(٥٦) السنة ٢٠١١م.
- ادب المرتضى من سيرته واثاره، د. عبد الرزاق محي الدين، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧م.
- امالي المرتضى، بحث في المنهج والنقد والتأويل، د. ثائر عبد الزهره لازم البصير، دار الينايع، ط١، ٢٠٠٩م.
- امالي المرتضى(غرر الفوائد ودرر القلائد، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي(ت٤٣٦هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مكتبة ذو القربي، قم، ١٣٧٣هـ.
- التراث في ضوء العقل، د. محمد عمارة، الطبعة الاولى، مطبعة دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٠م.
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر عمر البغدادي(١٠٣٠هـ-١٠٩٣هـ)تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج٩، مطبعة المدني، مصر ١٩٨٨م.
- ديوان ابي دهبيل الجمحي رواية ابي عمرو الشيباني تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النجف الاشرف، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- ديوان امرؤ القيس تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر(د-ت)
- ديوان البحترى عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م.
- ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة، شرح الامام ابي نصر احمد بن حاتم الباهلي صاحب الاصمعي رواية الامام ابي العلباس ثعلب، حققه وقدم له عبد القدوس ابو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٢م، عني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري هيس مكارتنني، عالم الكتب، بيروت.
- ديوان الشريف المرتضى، تحقيق رشيد الصفار، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ديوان عمر بن ربيعة، تحقيق وشرح ابراهيم الاعرابي، مكتبة صادر، بيروت(د-ت)
- ديوان ليلي الاخيلية عني بجمعه وتحقيقه، خليل ابراهيم العطية وجليل العطية، وزارة الثقافة والارشاد، دار الجمهورية، بغداد(١٣٨٦هـ-١٩٦٧م)

- رسائل الشريف المرتضى (المجموعة الاولى) للشريف المرتضى، تحقيق احمد الحسيني، الطبعة الاولى، الاداب، النجف، ١٣٨٦هـ.
- رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية السابع، مصطفى حسين، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٧٨م.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له د. احسان عباس، التراث العربي، الكويت ١٩٦٢م.
- شرح الصولي لديوان ابي تمام دراسة وتحقيق، خلف رشيد نعمان، وزارة الاعلام، العراق، الطبعة الثالثة.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لابني احمد العسكري، تحقيق عبد العزيز احمد، القاهرة، مبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الاولى، ١٩٣٦م.
- الشريف المرتضى، علم الهدى مجتبى الحسيني، الطبعة الاولى، مطبعة دار الوحدة، بيروت ١٩٨٠م.
- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، احمد بن علي الفزاري القلقشندي، تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جده (دبت)
- المزهري في علوم اللغة والادب، جلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٨م.
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الاسد، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.
- مغنيبيب عن كتب الاعراب، ابن هشام الانصاري، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، الطبعة الاولى ١٣٧٨هـ.
- موسيقى الشعر، ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٢م.
- النقد عند اللغويين في القرن الثاني، سنيه احمد محمد، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٧م.